الإشَارَاتُ التَّفْسِيرِيَّةُ الوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِن تَفسِيرِ رُوحِ البَيَانِ للإمَامِ البُرُوسَوِي رَحِمَهُ اللهِ (ت ١١٢٧هـ).

إعداد
محمد أحمد محمد حسن شحاته
أ.د أماني كمال غريب
أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب _ جامعة طنطا

المستخلص:

فإني أشكر الله ذا الفضل والإنعام أن هداني ووفقني للبحث والدراسة في مجال التفسير؛ حيث إن علم التفسير يعد من أهم العلوم وأعظمها، فهو أهم علوم القرآن الكريم، وأهم وسيلة ترشدنا إلى معرفة وفهم كلام الله (عز وجل) ، والوصول إلى المقصد من هذا الكلام العظيم؛ حتي يستطيع العبد الدخول في رحمة الله (عز وجل) ونيل رضوانه، من خلال العمل بكل ما ورد في القرآن الكريم من تعاليم وأحكام.

وقد كانت مشاركتي في جانب التفسير من خلال دراسة بعض الإشارات التفسيرية التي ذكرها العالم المفسر/ إسماعيل حقي البُرُوسَوي (رحمه الله) في كتابه: (روح البيان في تفسير القرآن)، وكان عنوان البحث: (الإشَارَاتُ التَّفْسِيرِيَّةُ الوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِن تَفسِيرِ رُوحِ البَيَانِ للإمَامِ البُرُوسَوِي رَحِمَهُ اللهِ (ت ١١٢٧هـ).

ولا يخفى أن هذا العالم المفسر الجليل -إسماعيل حقي البُرُوسَوي (رحمه الله)- يعد عالماً من أعلام المفسرين العظماء، فقد احتوى تفسيره على فوائد كثيرة تشهد بوفرة علمه، ورجاحة عقله، وسعة اطلاعه.

ولا يخفى أن هذا العالم المفسر الجليل -إسماعيل حقي البُرُوسَوي (رحمه الله)- يعد عالماً من أعلام المفسرين العظماء، فقد احتوى تفسيره على فوائد كثيرة تشهد بوفرة علمه، ورجاحة عقله، وسعة اطلاعه.

الكلمات الإفتتاحية:
الإشَارَاتُ التَّفْسِيرِيَّةُ؛ آيَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ تَفسِيرِ رُوحِ البَيَانِ؛ الإمَامِ البُرُوسَوِي رَحِمَهُ اللهِ (ت ١١٢٧هـ).

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإني أشكر الله ذا الفضل والإنعام أن هداني ووفقني للبحث والدراسة في مجال التفسير؛ حيث إن علم التفسير يعد من أهم العلوم وأعظمها، فهو أهم علوم القرآن الكريم، وأهم وسيلة ترشدنا إلى معرفة وفهم كلام الله (عز وجل) ، والوصول إلى المقصد من هذا الكلام العظيم؛ حتي يستطيع العبد الدخول في رحمة الله (عز وجل) ونيل رضوانه، من خلال العمل بكل ما ورد في القرآن الكريم من تعاليم وأحكام.

وقد كانت مشاركتى في جانب التفسير من خلال دراسة بعض الإشارات التفسيرية التي ذكرها العالم المفسر/ إسماعيل حقي البُرُوسَوي (رحمه الله) في كتابه: (روح البيان في تفسير القرآن)، وكان عنوان البحث: (الإِشَارَاتُ التَّفْسِيرِيَّةُ الوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِن تَفسِيرِ رُوحِ البَيَانِ للإِمَامِ البُرُوسَوِي رَحِمَهُ اللهِ (ت ١١٢٧هـ)).

ولا يخفى أن هذا العالم المفسر الجليل -إسماعيل حقي البُرُوسَوي (رحمه الله)- يعد عالماً من أعلام المفسرين العظماء، فقد احتوى تفسيره على فوائد كثيرة تشهد بوفرة علمه، ورجاحة عقله، وسعة اطلاعه.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١-تكمن أهمية هذا البحث في اتصاله الوثيق بالقرآن الكريم، وذلك بالنظر والتدبر فيه، واستخراج الهدايات القرآنية منه.

٢-إظهار جانب جديد من جوانب تفسير القرآن الكريم، وهو الجانب الإشاري فيه.

حدود البحث:

يحتوى هذا البحث على بعض الإشارات التفسيرية التي أوردها المؤلف (رحمه الله) في سورة:(آل عمران)، مما يجذب انتباه القارئ نحو تلك الإشارات، والاستفادة منها، وتطبيقها في حياته تطبيقًا عمليًا.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على عدة مناهج، وهي:

١_المنهج الوصفي: وذلك بذكر نص الإشارة، ثم شرحها، وبيان ما يستفاد منها.

٢-المنهج النقدي: وذلك بنقد بعض الإشارات التي وردت في السورة الكريمة.

٣-المنهج التوثيقي: وذلك بهدف توثيق كل ما يحتاج إلى التوثيق.

خطة البحث:

جاءت خطة هذا البحث مشتملة على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على:

أهمية البحث، وأسباب اختياره، وحدوده، ومنهجه.

المبحث الأول: الإشارات التفسيرية الواردة في بيان حقيقة الدنيا.

المبحث الثاني: الإشارات التفسيرية الواردة في الموت والجنة والنار.

الخاتمة: وتشتمل على: أهم النتائج.

المَبْحَثُ الأَوْلُ: الإِشَارَاتُ التَّفْسِيرِيَّةُ الوَارِدَةُ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا.

الإِشَارَةُ الأُولَى: (الأَخْذُ مِنْ طَيِبَاتِ الدُّنْيَا بِقَدْرِ الحَاجَةِ وَالكِفَايَةِ).

الآية الكريمة التي تضمنت الإشارة: قوله تعالى: {**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والْبَنِينَ والْقَنَاطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ والْخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ والْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا واللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ المَآبِ**}(آل عمران: ١٤).

قال الإمام البروسوي (رحمه الله): "فيه دلالة على أن ليس فيما عَدَّدَ عاقبة حميدة، وهذا تزهيد في طيبات الدنيا الفانية، وترغيب فيما عند الله من النعيم المقيم، فعلى العاقل أن يأخذ من الدنيا قدر البُلْغَةِ، ولا يستكثر بالاستكثار الذي يورط صاحبه في المحظور، ويورثه المحذور"[١].

الشرح والدراسة:

أشار الإمام البروسوي (رحمه الله) إلى أنه ينبغي على العبد أن يزهد في الدنيا، وأن يأخذ من طيباتها قدرًا يسيرًا، ولا يستكثر منها، وأن يكون أكثر رغبة فيما عند الله في الآخرة من النعيم المقيم.

وهذه الإشارة صحيحة؛ حيث إنه علي قَدْرِ استمتاع العبد بطيبات الدنيا يكون نقص متاعه في الآخرة، ولذلك كان سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقنع بالكفاف من العيش، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: "لم يأكل النبي (صلى الله عليه وسلم) على خُوَانٍ[٢] حتى مات، وما أكل خبزًا مرققًا حتى مات"[٣]، قال الإمام ابن بطال (رحمه الله): "تركه (عليه الصلاة والسلام) الأكل على الخوان، وأكل المرقق؛ إنما هو لدفع طيبات الدنيا اختيارًا لطيبات الحياة الدائمة"[٤].

---

(١) روح البيان في تفسير القرآن، للإمام: إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي (ت ١١٢٧هـ)، ١١/٢، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

(٢) ما يوضع عليه الطعام عند الأكل كالسفرة وما شابهها.

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب فضل الفقر، ٩٦/٨، حديث رقم: (٦٤٥٠).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت ٧٧٧هـ)، ٢٨٠/١١، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت- لبنان، ط١، ١٣٧٩هـ.

وقد أرشدنا النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الأخذ من طيبات الدنيا بقدر الحاجة، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهم): أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا[٥]، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ)[٦].

وقد قال الحق (عز وجل): {**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا واسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ**}(الأحقاف: ٢٠)، فهذه الآية وإن كانت واردة في حق الكفار، إلا أن الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا يخافون من ذلك، قال الإمام ابن بطال (رحمه الله): "ألا ترى قول عمر بن الخطاب حين اشترى لحمًا بدرهم: أين تذهب هذه الآية: {**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا واسْتَمْتَعْتُم بِهَا**}، فَدَّلَ أن التنعم في الدنيا، والاستمتاع بطيباتها يُنْقِصُ كثيرًا من طيبات الآخرة"[٧]، وهكذا كان حال جميع الصحابة (رضي الله عنهم)، قال الصحابي الجليل خباب (رضي الله عنه): "إن أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) مضوا ولم تنقصهم الدنيا بشيء"[٨]، فيجب على العبد أن يأخذ من طيبات الدنيا بقدر حاجته، وألَّا يستكثر منها؛ حتى لا يكون ذلك سبب في نقص طيباته التي أعدها الله له في الآخرة.

الدروس المستفادة من هذه الإشارة:

١-ينبغي على العبد ألَّا يستكثر من طيبات الدنيا، وإنما يأخذ منها بقدر حاجته.

٢-يجب على العبد أن تكون رغبته فيما عند الله (عز وجل) في الآخرة أكثر وأعظم من رغبته في الدنيا.

٣-النظر إلى أحوال السلف الصالح في موقفهم من الأخذ من طيبات الدنيا، والاقتداء بهم.

---

(٥) أي: ما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات ولا يلحقه بأهل الترفهات (فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام: زين الدين محمد -المعروف بعبد الرؤوف المناوي-(ت: ١٠٣١هـ)، ٥٠٨/٤، المكتبة التجارية- مصر، ط١، ١٣٥٦هـ).

(٦) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، ٧٣٠/٢، حديث رقم: (١٠٥٤).

(٧) شرح صحيح البخاري، للإمام: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)، ١٥٧/١٠، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٨) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ٩١/٨، حديث رقم: (٦٤٣٠).

الإِشَارَةُ الثَّانِية: (عَاقِبَةُ الاغْتِرَارِ بالدُّنْيَا).

الآية الكريمة التي تضمنت الإشارة: قوله تعالى: {**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ**}(آل عمران: ١٨٥).

قال الإمام البروسوي (رحمه الله): "{**ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ**}، شبهها بالمتاع الذي يُدَلَّسُ به على المستام، ويُغَرُّ حتى يشتريه، وهذا لمن آثرها على الآخرة، ومن آثر الآخرة عليها فهي له متاع بلاغ، أي: تبليغ إلى الآخرة، وإيصال إليها، فلذلك سماه الله خيرًا، حيث قال: {**وإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ**}(العاديات: ٨)، فالعاقل لا يغتر بالدنيا، فإنها لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سُمُّهَا، ظاهرها مطية السرور، وباطنها مطية الشرور، فمن أتى بالطاعات ، واجتنب عن السيئات، وأعرض عن الدنيا ولذاتها، فاز بالجنة ودرجاتها، ومن عكس الأمر عوقب بالحرمان في دركات النيران"[٩].

الشرح والدراسة:

أشار الإمام البروسوي (رحمه الله) إلى الحذر من الاغترار بالدنيا، فإنَّ مآل ذلك إلى الخسران، وهذه الإشارة صحيحة؛ فإنَّ الحق (عز وجل) قد حَذَّرَ عباده من الاغترار بالدنيا، فقال تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا ولا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الغَرُورُ**}(فاطر: ٥)، وقال تعالى: {**اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ولَهْوٌ وزِينَةٌ وتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ومَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ ورِضْوَانٌ ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ**}(الحديد: ٢٠).

كماأخبر الحق (سبحانه وتعالى) أن الاغترار بالدنيا سبب لدخول النار، فقال تعالى: {**ونَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا ولَعِبًا وغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ومَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**}(الأعراف: ٥٠-٥١).

---

(٩) روح البيان في تفسير القرآن، للإمام البروسوي، ١٤٣/٢.

كما حَذَّرَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الاغترار بالدنيا، فقال (صلى الله عليه وسلم): (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)[١٠]، وضرب لنا مثلًا عمليًا في عدم اغتراره بالدنيا، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: "نام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على حصير فقام وقد أَثَّرَ في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)"[١١]، قال الإمام الغزالي (رحمه الله): "ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها، ولم يُبَالِ كيف انقضت أيامه في ضر وضيق، أو في سعة ورفاهية، بل لا يَبْنِي لبنة على لبنة"[١٢].

وقد كان التحذير من الاغترار بالدنيا؛ لأنها ليست لها قيمة ولا وزنا عند الله (عز وجل)، فعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قال: "كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذي الحليفة، فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها، فقال: (أَتُرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا)[١٣].

قال الإمام الحسن البصري (رحمه الله) في ذم الدنيا: "ولقد عُرضت على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مفاتيحها، وخزائنها، لا ينقصها عند الله جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، زواها الله عن الصالحين اختيارًا، وبسطها لأعدائه اغترارًا، أَفَيَظُنُّ المغرور بها، المقتدر عليها أنه أُكْرِمَ بها؟! ونسي ما صنع الله بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حين شد على بطنه الحجر، والله ما أحد من الناس بُسِطَ له في الدنيا فلم يَخَفْ أن يكون قد مُكِرَ به، إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه، وأن ما أمسك عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها، إلا كان قد نَقَصَ عقله، وعَجَزَ رأيه"[١٤].

---

(١٠) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، ٨٩/٨، حديث رقم: (٦٤١٦).

(١١) رواه الترمذي، أبواب الزهد، بابٌ، ١٦٦/٤، حديث رقم: (٢٣٧٧).

(١٢) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، ٢١٥/٣. إحياء علوم الدين، للإمام: محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة– بيروت، بدون: ط. ت.

(١٣) رواه ابن ماجه، أبواب الزهد، باب مثل الدنيا، ٢٣٠/٥، حديث رقم: (٤١١٠).

(١٤) مختصر منهاج القاصدين، للإمام ابن قدامة المقدسي، ص١٩٨. مختصر منهاج القاصدين، للإمام: أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت٦٨٩هـ)، تح: محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان–دمشق، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، بدون: طبعة.

فالحذر كل الحذر من الاغترار بالدنيا، فإنَّ حقيقتها متاع يفنى، وينتهي، ويزول، قال تعالى: {**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ويَقْدِرُ وفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ مَتَاعٌ**}(الرعد: ٢٦)، وقال تعالى: {**ومَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وزِينَتُهَا ومَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ**}(القصص: ٦٠)، قال الإمام ابن القيم (رحمه الله) في وصف الدنيا: "فما اغتر بها، ولا سكن إليها، إلا ذو همة دنية، وعقل حقير، وقدر خسيس"[١٥].

فعلى العبد ألَّا يغتر بالدنيا الفانية، وأن يؤثر عليها الآخرة الباقية، قال تعالى: {**بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) والآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقَى**}(الأعلى: ١٦-١٧)، وقال تعالى: {**ومَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَهْوٌ ولَعِبٌ وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**}(العنكبوت: ٦٤)، أي: الآخرة هي الحياة الدائمة الباقية.

الدروس المستفادة من هذه الإشارة:

١-الحذر من الاغترار بالدنيا.

٢-الاغترار بالدنيا سبب للهلاك، والخسران، ودخول النار.

٣-ينبغي على العبد أن يؤثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية.

---

(١٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ص٢٥٣، تح: محمد أجمل الاصلاحي وآخرون، دار عطاءات العلم- الرياض، ط٤، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

المَبْحَثُ الثَّانِي: الإِشَارَاتُ التَّفْسِيرِيَّةُ الوَارِدَةُ فِي المَوْتِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الإِشَارَةُ الأُولَى: (حَقِيقَةُ المَوْتِ).

الآية الكريمة التي تضمنت الإشارة: قوله تعالى: {**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ**}(آل عمران: ١٨٥).

قال الإمام البروسوي (رحمه الله): "في قوله: {**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ**} إشارة إلى أن كل نفس مستعدة للفناء في الله؛ فَلَا بُدَّ لها من موت، فمن كان موته بالأسباب تكون حياته بالأسباب، ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه في الله"[١٦].

الشرح والدراسة:

أشار الإمام البروسوي (رحمه الله) إلى أن هناك نوع آخر من الموت غير المعروف للخلق، وهو الموت المعنوي –الفناء في الله (عز وجل)–.

وهذه الإشارة صحيحة، قد دلت على صحتها الأدلة، وبيان ذلك فيما يأتي:

أَنْوَاعُ المَوْتِ:

أولًا: المَوْتُ الحِسِّيُّ: وهو الموت المعروف، الملازم لجميع الخلق –مفارقة الروح للجسد– ، قال الإمام القرطبي في تعريفه: "هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار"[١٧].

كما أنه مخلوق من مخلوقات الله (عز وجل)، قال تعالى: {**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ والْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ**}(الملك: ١-٢).

كما أنه نقيض الحياة وضدها، قال د/ عمر سليمان الأشقر: "الحياة والموت متناقضان تناقض النور والظلام والبرودة والحرارة"[١٨]، وبذلك يتضح ويتأكد أن الموت ليس عدم وفناء، وإنما هو انتقال من دار إلى دار، ومن حال إلى حال.

---

(١٦) روح البيان في تفسير القرآن، للإمام البروسوي، ١٤٤/٢.

(١٧) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ص١٢٢، تح: د: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة المنهاج– الرياض– السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ.

(١٨) القيامة الصغرى، للدكتور: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، ص١٤، دار النفائس–الأردن، ط٤، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

كما أنه مخلوق موجود يجيء ويحضر، قال تعالى: {**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ**}(المؤمنون: ٩٩)، وقال تعالى: {**وهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ويُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وهُمْ لا يُفَرِّطُونَ**}(الأنعام: ٦١)، وقال تعالى: {**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ**}(البقرة: ١٣٣).

كما أنه قد جعل الله (عز وجل) لجميع الخلق نصيبًا منه، فقال تعالى: {**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**}(العنكبوت: ٥٧)، ولن ينجو منه أحد، فها هو سيد الأولين والأخرين (صلى الله عليه وسلم)، خاطبه الله (عز وجل) بقوله: {**إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**}(الزمر: ٣٠)، وقد وقع ذلك وتحقق، فقد مات سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

كما أن الموت مصيبة عظيمة، هكذا سماه خالقه (عز وجل)، فقال تعالى: {**فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ المَوْتِ**}(المائدة: ١٠٦).

والفطرة الإنسانية مفطورة على حب الحياة، وكراهية الموت، حتى أهل الإيمان يكرهون الموت، ويدل لذلك: ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)[١٩]، وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ) فقيل له: يا رسول الله، كراهية لقاء الله في كراهية الموت، فكلنا يكره الموت!، قال: (إِنَّمَا ذَاكَ عِنْدَ مَوْتِهِ، إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، فَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ)[٢٠]، فدلت هذه الأحاديث على أن النفس تحب الحياة وتكره الموت.

وقد أوصانا نبينا (صلى الله عليه وسلم) بالاستعداد للموت قبل مجيئه، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَّاتِ، يَعْنِي:

---

(١٩) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ١٠٥/٨، حديث رقم: (٦٥٠٢).

(٢٠) رواه ابن ماجه، أبواب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ٣٣١/٥، حديث رقم: (٤٢٦٤).

الْمَوْتَ)[٢١]، فالعاقل الفطن من استعد للموت بالتوبة، والعمل الصالح، عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه قال: "كنت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجاءه رجل من الأنصار، فَسَلَّمَ على النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم قال: يا رسول الله: أيُّ المؤمنين أفضل؟ قال: (أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)، قال: فأيُّ المؤمنين أكيس؟ قال: (أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ)[٢٢].

ثانيًا: المَوْتُ المَعْنَوِيُّ –الفَنَاءُ فِي اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ)–: وهو موت شهوات النفس وحظوظها، والتعلق بمحبة الله (عز وجل) وحده، وتحقيق ما يريده (سبحانه وتعالى)، قال الشيخ محمد رشيد رضا: "الفناء في الله: هو أن يغيب العبد عن شهوات نفسه، والشعور بإرادته وحِسِّه، ويبقى له الشعور بأنه مَظْهَرٌ من مظاهر بعض صفات ربه، وموضع تَجَلِي ما شاء من أسماءه وصفاته، حتى يكون (عز وجل) هو الغالب على أمره"[٢٣].

وهذا النوع من الموت يكاد يكون مقتصرًا على أرباب التصوف، فَهُمُ الذين لهم الحظ والنصيب الأوفر في الحديث عن الفناء في الله (عز وجل)، ومحبته (سبحانه وتعالى).

قال صاحب كتاب: (التعرف لمذهب أهل التصوف) متحدثاً عن الفناء في الله (عز وجل): "إنه إفناء المشاعر والرغبات الأرضية في شيء أكبر وأعظم من المثل الأعلى المصطلح عليه خلقيًا وتربويًا، إنه إفناء هوى النفوس وشهواتها وعواطفها وكل ما تحب فيما يحبه الله ويريده ويأمر به؛ ليعيش الصوفي متخلقًا بِخُلُقِ الله"[٢٤].

ولعل هذا الفناء قد وردت الإشارة إليه، وعَبَّرَ عنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللهَ قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي

([٢١]) رواه الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، ١٢٩/٤، حديث رقم: (٢٣٠٧).

([٢٢]) رواه ابن ماجه، أبواب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ٣٢٧/٥، حديث رقم: (٤٢٥٩).

([٢٣]) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، للشيخ: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، ٢١٤/١٠،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، بدون: طبعة.

([٢٤]) التعرف لمذهب أهل التصوف، للإمام: أبي بكر محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ)، ص٤، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، بدون: ط. ت.

يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)[٢٥].

وهناك نوع آخر من الموت المعنوي –وهو الانقطاع والبعد عن الله (عز وجل)، وعن ذكره وطاعته–، وهو ما دل عليه قوله (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)[٢٦].

الدروس المستفادة من هذه الإشارة:

١–وجوب الاستعداد للموت.

٢–هناك أنواع للموت أنواع أخري غير الموت الحسي المعروف، وهي: الموت المعنوي (الفناء في الله (عز وجل)، و الانقطاع عن الله (عز وجل).

٣– الفناء في الله (عز وجل) هو إماتة شهوات النفس، وتقديم ما يريده الله (عز وجل) على ما تريده النفس.

(٢٥) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ١٠٥/٨، حديث رقم: (٦٥٠٢).

(٢٦) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله (عز وجل)، ٨٦/٨، حديث رقم: (٦٤٠٧).

الإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ: (صِفَةُ الجَنَّةِ).

الآية الكريمة التي تضمنت الإشارة: قوله تعالى: {**وسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**}(آل عمران: ١٣٣).

قال الإمام البروسوي (رحمه الله): "فيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن، وأنها خارجة عن هذا العالم، أمَّا الأول: فلدلالة لفظ الماضي، وأمَّا الثاني: فلأن ما يكون عرضه كعرض جميع هذا العالم لا يكون داخلًا فيه، رُوِيَ أن رسول هرقل سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: إنك تدعو إلى جنة عرضها السماوات والأرض فأين النار؟ فقال (عليه السلام): (سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار)[٢٧]، والمعنى –والله أعلم–: إذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم، والليل في ضد ذلك الجانب، فكذا الجنة في جهة العلو، والنار في جهة السفل"[٢٨].

الشرح والدراسة:

أشار الإمام البروسوي (رحمه الله) إلى أن الجنة قد خلقها الله (عز وجل)، وأنها موجودة الآن، وأنها ليست في السماء ولا في الأرض، بل هي في مكان آخر علمه عند الله (عز وجل). وهذه الإشارة صحيحة، قد دلت على صحتها الأدلة، فأمَّا كون الجنة موجودة الآن فقد دل عليه: قوله تعالى: {**وسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**}(آل عمران: ١٣٣)، وقوله تعالى: {**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ والأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**}(الحديد: ٢١)، قال الإمام الألوسي (رحمه الله): "{**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ**}، أي: هُيِئَتْ لهم، واسْتُدِلَ بذلك على أنَّ الجنة موجودة الآن؛ لقوله تعالى {**أُعدت**} بصيغة الماضي"[٢٩].

كما دل عليه: ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه): عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي

([٢٧]) رواه أحمد، مسند سهل بن سعد الساعدي (رضي الله عنه)، ٤١٦/٢٤، حديث رقم: (١٥٦٥٥).

([٢٨]) روح البيان في تفسير القرآن، للإمام البروسوي، ٩٨/٢.

([٢٩]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، ١٨٦/١٤، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

النَّاسَ)[٣٠]، قال الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله): "فيه دليل على أن الجنة موجودة الآن؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى هذا الرجل يتقلب فيها، وهذا أمر دل عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة، أنَّ الجنة موجودة الآن"[٣١].

كما يؤكد وجود الجنة الآن: رؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) لها، فعن أنس (رضي الله عنه): أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟، قال: (رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ)[٣٢]، فهذه الأدلة قد دلت على أن الجنة مخلوقة، وموجودة الآن.

وأمَّا كون الجنة ليست في السماوات، ولا في الأرض، فقد دل عليه: قوله تعالى: {**عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**}(النجم: ١٤-١٥)، قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): "وقد ثبت أن سدرة المنتهي فوق السماء، وسميت بذلك؛ لأنه ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيُقبض منها، وما يصعد إليه فيُقبض منها"[٣٣]، كما يدل عليه: أن الجنة تحت عرش الرحمن مباشرة، فعرش الرحمن سقفها، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)[٣٤]، فدلت هذه الأدلة على أن الجنة فوق السماوات السبع وتحت عرش الرحمن (سبحانه وتعالى).

والجنة هي دار السلام، وقد دعا الله (عز وجل) عباده إليها، فقال تعالى: {**واللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ**}(البقرة: ٢٢١)، وقال تعالى: {**واللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**}(يونس: ٢٥)، وهي مآل أهل الإيمان والعمل الصالح، والإحسان، والتقوى، والاستقامة، قال تعالى: {**والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا**

---

(٣٠) رواه مسلم، كتاب البر وصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ٤/٢٠٢١، حديث رقم: (١٩١٤).

(٣١) شرح رياض الصالحين، للشيخ: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، ، ٢/١٧٥، دار الوطن- الرياض، ١٤٢٦هـ، بدون: طبعة.

(٣٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن سبق الإمام بركوع وسجود ونحوهما، ١/٣٢٠، حديث رقم: (٤٢٦).

(٣٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للإمام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ١/١٢٨، تح: زائد بن أحمد النشيري، دار عطاءات العلم- الرياض- السعودية، ط٤، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

(٣٤) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ٤/١٦، حديث رقم: (٢٧٩٠).

خَالِدُونَ}(البقرة: ٨٢)، وقال تعالى: {**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وزِيَادَةٌ ولا يَرْهَقُ وجُوهَهُمْ قَتَرٌ ولا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}(يونس: ٢٦)، وقال تعالى: {**تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًا**}(مريم: ٦٣)، وقال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا ولا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**}(فصلت: ٣٠)، وقال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}(الأحقاف: ١٣-١٤).

الدروس المستفادة من هذه الإشارة:

١-الجنة مخلوقة، وموجودة الآن.

٢-الجنة ليست في السماوات ولا في الأرض، بل هي فوق السماوات السبع وتحت عرش الرحمن (عز وجل).

٣-وجوب السعي لدخول الجنة بالإيمان، والاستقامة، والعمل الصالح.

الإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ: (صِفَةُ النَّارِ).

الآية الكريمة التي تضمنت الإشارة: قوله تعالى: {**واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**}(آل عمران: ١٣١).

قال الإمام البروسوي (رحمه الله): "فيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكفار، وبالعرض للعصاة"[٣٥].

الشرح والدراسة:

أشار الإمام البروسوي (رحمه الله) إلى أن النار أعدها الله (عز وجل) لعقاب الكفار، وأمَّا العصاة من المسلمين فَيُعْرَضُونَ عليها فقط دون عقابهم بدخولها.

وهذه الإشارة صحيحة قد اشتملت علي جانبين، أحدهما صحيح، والأخر قد جانبه الصواب، فأمَّا الجانب الصحيح فهو: أنَّ النار أعدها الله (عز وجل) لعقاب الكافرين، قال تعالى: {**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**}(البقرة: ٢٤)، وقال تعالى: {**واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**}(آل عمران: ١٣١)، وقال تعالى: {**والَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}(البقرة: ٣٩)، وقال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ ولا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وأُوْلَئِكَ هُمْ وقُودُ النَّارِ**}(آل عمران: ١٠)، وقال تعالى: {**ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ**}(الأنفال: ١٤)، وقال تعالى: {**وعُقْبَى الكَافِرِينَ النَّارُ**}(الرعد: ٣٥)، وقال تعالى: {**النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ المَصِيرُ**}(الحج: ٧٢)، وقال تعالى: {**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ومَأْوَاهُمُ النَّارُ ولَبِئْسَ المَصِيرُ**}(النور: ٥٧)، وقال تعالى: {**وكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**}(غافر: ٦)، وقال تعالى: {**ومَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**}(ص: ٢٧)، وقال تعالى: {**والَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ ويَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ والنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ**}(محمد: ١٢).

وأمَّا الجانب الذي جانبه الصواب فهو: أنَّ العصاة من المسلمين يُعْرَضُونَ على النار فقط دون أن يعذبوا فيها، فهذا غير صحيح، حيث إن جميع الخلق، مؤمنهم، وعاصيهم، وكافرهم، يُعْرَضُونَ على النار فيدخلها الكفار ويخلدون فيها، وينجو المؤمنون، ويعذب الله (عز وجل)

---

(٣٥) روح البيان في تفسير القرآن، للإمام البروسوي، ٩٦/٢.

فيها من شاء من العصاة، قال تعالى: {**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وإن مِّنكُمْ إلاَّ وارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ونَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**}(مريم: ٦٨-٧٢)، والظالمين هنا في هذه الآية قسمين:

الأول: (الكفار والمشركون)، دل عليه: قوله تعالى: {**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**}(لقمان: ١٣)، وقوله تعالى: {**والْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**}(البقرة: ٢٥٤).

الثاني: (عصاة الموحدين)، دل عليه: قوله تعالى في حق مَنْ لم يتب من عصاة المؤمنين من عصيانه بأنه ظالم، فقال تعالى: {**ومَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**}(الحجرات: ١١).

وقد دلت الأدلة على عذاب العصاة بالنار ثم خروجهم منها، فلا يخلدون فيها مثل الكفار، فكلاهما –الكفار، وعصاة الموحدين– قد وُصِفَ بالظلم، فقد قال تعالى: {**ونَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**}(مريم: ٧٢)، إلا أنَّ الكفار يخلدون فيها، وعصاة الموحدين يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها برحمة الله (عز وجل)، ومن الأدلة التي تدل على أنَّ عصاة الموحدين الذين لم يعفو الله عنهم يعذبون في النار ولا يخلدون فيها:

-قوله تعالى: {**والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والْفِضَّةَ ولا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**}(التوبة: ٣٤-٣٥).

-وقوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**}(النساء: ١٠).

-وما رواه أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ – أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ – فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ)[٣٦].

([٣٦]) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، ١٧٢/١، حديث رقم: (١٨٥).

-وما رواه أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يقول الله تعالى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)[٣٧].

-وما رواه سمرة (رضي الله عنه) أنه سمع نبي الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ)[٣٨]، فدل هذا الحديث على أن عصاة الموحدين —من لم يعفو الله عنهم- يدخلون النار ويعذبون فيها بقدر ذنوبهم، قال الحافظ بن حجر (رحمه الله) في شرحه لهذا الحديث: "يمكن أن يكون ورد في حق من يدخل النار من الموحدين، فإن أحوالهم في التعذيب تختلف بحسب أعمالهم، وأمَّا الكفار فإنهم في الغمرات"[٣٩]. فجميع هذه الأدلة قد دلت على أن العصاة يدخلون النار، ويعذبون فيها على قدر ذنوبهم، ثم يُخرجهم الله (عز وجل) منها برحمته، ولا يُكْتَفَى بعرضهم على النار فقط كما ذكر الإمام البروسوي (رحمه الله).

ومما سبق يتبين: أن النار قد أُعدت وهيئت للكفار، وأنهم خالدين فيها، وأنها يدخلها بعض عصاة الموحدين ممن لم ينالوا عفو الله (عز وجل)، فيُعَذَّبُونَ فيها بقدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها برحمة الله (عز وجل).

الدروس المستفادة من هذه الإشارة:

١-النار مخلوقة، وموجودة الآن.

٢-النار يخلد فيها الكفار، ويدخلها بعض عصاة الموحدين ثم يخرجون منها ولا يخلدون فيها.

٣-يجب على العصاة أن يتوبوا قبل موتهم؛ حتى لا يعرضوا أنفسهم لدخول النار.

([٣٧]) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب (عز وجل) يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ١٤٦/٩، حديث رقم: (٧٥١٠).

([٣٨]) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في شدة حر نار جهنم، ٢١٨٥/٤، حديث رقم: (٢٨٤٥).

([٣٩]) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٣٩٤/١١.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله،

أما بعـد:

في خاتمة هذا البحث أتوجه إلى الله (سبحانه وتعالى) بالحمد والشكر والثناء الجميل "فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"، فقد وفقني الله (سبحانه وتعالى) في هذ البحث الذى اشتمل على بعض الإشارات التفسيرية الواردة في سورة (آل عمران) من خلال تفسير روح البيان في تفسير القرآن للإمام البروسوي (رحمه الله) لاستخلاص الهدايات والعبر والعظات من هذه الإشارات؛ حيث إن الإشارات التفسيرية تحمل في طياتها الهدايات النافعة في شتى معالم الشريعة الإسلامية.

وفيما يأتي أهم النتائج المستفادة من هذا البحث:

١- ضرورة الاهتمام بدراسة التفاسير التي تحتوي على إشارات تفسيرية، وجمع هذه الإشارات، ودراستها؛ لاستخراج الهدايات والعبر التي تعود بالنفع على الناس في دنياهم وأخراهم.

٢- الهداية الحقيقية في التمسك بكتاب الله (عز وجل) تلاوةً، وعملًا، وتدبرًا، وتحاكمًا إليه، واستشفاءً به.

٣- التفسير الإشاري يأخذ العقل إلى التدبر العميق في آيات القرآن الكريم؛ لاستخراج المعاني الخفية لآياته، والتي تحمل في طياتها أعظم النفع والهدايات للناس، وهذا الأمر له شواهد في عهد علماء الصحابة (رضي الله عنهم)، منها: ما أورده الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رؤيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون: {إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون} حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له: {إذا جاء نصر الله والفتح} فتح مكة، فذاك علامة أجلك: {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا} قال عمر: ما أعلم منها إلا ما

تعلم)[٤٠]، قال الإمام ابن حجر (رحمه الله) في شرحه لهذا الحديث: "وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي (رضي الله تعالى عنه): "...أو فهما يؤتيه الله رجلا في القرآن""[٤١]، فهذا مثال على أن آيات القرآن الكريم تحمل معان خفية أكثر من المعنى الظاهر لها، يتوصل إلى هذه المعاني الخفية من خلال التفسير الإشاري.

٤- ينبغي علي المؤسسات الدينية أن تزيد من عنايتها وخدمتها لكتاب الله (عز وجل).

والله ولي التوفيق.

(٤٠) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حدثني محمد بن بشار، ١٤٩/٥، حديث رقم: (٤٢٩٤).

(٤١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ٧٣٦/٨.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إحياء علوم الدين، للإمام: محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة- بيروت، بدون: ط. ت.

٣- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تح: د: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة المنهاج- الرياض- السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ.

٤- التعرف لمذهب أهل التصوف، للإمام: أبي بكر محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، بدون: ط. ت.

٥- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، للشيخ: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، بدون: طبعة.

٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، للإمام: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تح: جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للإمام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تح: زائد بن أحمد النشيري، دار عطاءات العلم- الرياض- السعودية، ط٤، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

٨- روح البيان في تفسير القرآن، للإمام: إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي (ت ١١٢٧هـ)، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تح: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

١٠- سنن ابن ماجة، للإمام: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١١- سنن الترمذي، للإمام: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٨م، بدون: طبعة.

١٢- شرح رياض الصالحين، للشيخ: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار الوطن- الرياض، ١٤٢٦هـ، بدون: طبعة.

١٣- شرح صحيح البخاري، للإمام: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- الرياض- السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٤- صحيح مسلم، للإمام: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ، بدون: ط. ت.

١٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تح: محمد أجمل الاصلاحي وآخرون، دار عطاءات العلم- الرياض، ط٤، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت ٧٧٧هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت- لبنان، ط١، ١٣٧٩هـ.

١٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام: زين الدين محمد -المعروف بعبد الرؤوف المناوي-(ت: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية- مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

١٨- القيامة الصغرى، للدكتور: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، دار النفائس- الأردن، ط٤، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٩- مختصر منهاج القاصدين، للإمام: أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت٦٨٩هـ)، تح: محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان-دمشق، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، بدون: طبعة.

٢٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة- مصر، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

فهرس المحتويات

المحتويات

مقدمة ٥٨٥

أهمية البحث وأسباب اختياره: ٥٨٥

حدود البحث: ٥٨٥

منهج البحث: ٥٨٦

خطة البحث: ٥٨٦

المَبْحَثُ الأَوْلُ: الإِشَارَاتُ التَّفْسِيرِيَّةُ الوَارِدَةُ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا. ٥٨٤

الإِشَارَةُ الأُولَى: (الأَخْذُ مِنْ طَيِّبَاتِ الدُّنْيَا بِقَدْرِ الحَاجَةِ وَالكِفَايَةِ). ٥٨٤

الإِشَارَةُ الثَّانِية: (عَاقِبَةُ الاغْتِرَارِ بالدُّنْيَا). ٥٨٦

المَبْحَثُ الثَّانِي: الإِشَارَاتُ التَّفْسِيرِيَّةُ الوَارِدَةُ فِي المَوْتِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ. ٥٨٩

الإِشَارَةُ الأُولَى: (حَقِيقَةُ المَوْتِ). ٥٨٩

الإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ: (صِفَةُ الجَنَّةِ). ٥٩٣

الإِشَارَةُ الثَّالِثَةُ: (صِفَةُ النَّارِ). ٥٩٦

الخاتمة ٥٩٩

المصادر والمراجع ٦٠١

فهرس المحتويات ٦٠٤

The interpretive references contained in the verses of this world and the hereafter from the interpretation of Ruh al-Bayan by Imam al-Burusawi, may God have mercy on him (d. 1127 AH).

By

Mohamed Ahmed Mohamed Hassan Shehata

Prof. Dr. Amani Kamal Gharib

Professor in the Arabic Language Department,

Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:

I thank God, the Possessor of grace and bounty, for guiding me and granting me success to research and study in the field of interpretation. Since the science of interpretation is considered one of the most important and greatest sciences, it is the most important science of the Holy Qur'an, and the most important means that guides us to knowing and understanding the words of God (Glory be to Him), and reaching the goal of this great speech. So that the servant can enter into the mercy of God (Almighty and Majestic) and obtain His pleasure, by implementing all the teachings and rulings mentioned in the Holy Qur'an.

It is no secret that this great scholar and interpreter - Ismail Haqqi Al-Burusawi (may God have mercy on him) - is considered one of the great scholars of interpreters. His interpretation contains many

benefits that testify to the abundance of his knowledge, the clarity of his mind, and the breadth of his knowledge.

It is no secret that this great scholar and interpreter - Ismail Haqqi Al-Burusawi (may God have mercy on him) - is considered one of the great scholars of interpreters. His interpretation contains many benefits that testify to the abundance of his knowledge, the clarity of his mind, and the breadth of his knowledge.

My participation in the aspect of interpretation was through studying some of the interpretive references mentioned by the scholarly interpreter Ismail Haqqi al-Burusawi (may God have mercy on him) in his book: (The Spirit of Bayan in the Interpretation of the Qur'an). The title of the research was: (The interpretive signs contained in the verses of this world and the hereafter from the interpretation of the Spirit of the Qur'an). Al-Bayan by Imam al-Burusawi, may God have mercy on him (d. 1127 AH).

Keywords: Interpretive signs; The signs of this world and the hereafter; Interpretation of the spirit of the statement; Imam Al-Burusawi, may God have mercy on him (d. 1127 AH).